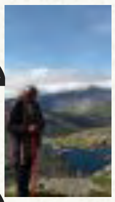
[موقع مصطفى نور الدين عطية]



مرحبا باشتراكية الفقر : حوار مع ضياء الدين داود .. مصطفى نور الدين

مجلة الحوار الاسبوعية، العدد ٥، ٤ سبتمبر ١٩٨٧، باريس، ص ص ١٦ - ١٧

الأربعاء 17 شباط (فبراير) 2016, بقلم [مصطفى نور الدين عطية]



مرحبا باشتراكية الفقر!

حديث مع ضياء الدين داود



ضياء الدين داود هو احد كبار قادة التيار الناصري الذي يسعى الى تأسيس حزبه المستقل . ولقد شارك داود في كل التنظيمات السياسية الاساسية لثورة تموز - يوليو ١٩٥٢ . فكان من قيادات الاتحاد القومي ومجلس الامة .. ثم عضوا في المكتب التنفيذي في الاتحاد الاشتراكي ثم اختاره عبد الناصر في ١٩٦٨ ليشغل منصب وزير الدولة لشؤون مجلس الامة ووزيرا للشؤون الاجتماعية . ثم اخيرا عضو في اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، وظل في هذا المنصب بعد وفاة عبد الناصر وحتى قيام السادات بتصفية القيادات الناصرية في منتصف ايار - مايو ١٩٧١ .

في حديثنا معه يكشف ضياء الدين داود عن جانب من الخلافات بين الناصريين والسادات بعد رحيل عبد الناصر . ولماذا ما زال التيار الناصري يرى في الفكر الناصري الحل الامثل لمشكلات مصر والوطن العربي .

س •• يحاول التيار الناصري منذ سنوات تأسيس حزبه المستقل ، لماذا ؟ وما الذي يمكن ان يقدمه هذا الحزب ويختلف عما تقدمه احزاب المعارضة الاخرى لمواجهة ازمة المجتمع المصري في الوقت الراهن ؟

- في رأيي أن الحزب الناصري واقع لا مفر منه بحكم جماهيره العريضة داخل مصر وداخل الوطن العربي . وهذه حقيقة لا يستطيع احد ان يغفلها . والحزب الناصري يتميز عن كل التيارات والاحزاب السياسية الاخرى بان له تجربة غنية جداً في العمل السياسي سواء كان

ذلك على صعيد الممارسة الداخلية أو الخارجية أو العربية .

ومن ناحية اخرى ، فان نتائج هذه التجربة صالحة للتقييم ولان تكون مثالا يدرس ويُقيّم ، وتُؤخذ منه الدروس . فالناصرية تمتلك نظرية نستطيع القول ان ما يمثلها حتى الآن هو الميثاق (ميثاق العمل الوطني) وتفسيرات جمال عبد الناصر وخطبه وبياناته المختلفة طوال مدة حكمه . ويضاف لذلك بالطبع التطبيق العملي للميثاق ثم لبيان ٣٠ مارس - آذار ١٩٦٨ . فهذا الفكر ما زال صالحا كاساس نظري للحزب الناصري ..

علاوة على ذلك فالناصرية تنفرد بانها التيار السياسي الوحيد الذي له جماهيره في مصر وخارج مصر ، كما قلنا . ليس هذا فحسب بل ان انصاره ومفكريه ايضا يوجدون في مصر وفي العالم العربي وهو ما لا يتوفر لأي فصيل اخر من فصائل العمل السياسي في مصر . ومن هنا فهو الحزب المؤهل للقيام بدور قومي ودور داخلي لاخراج مصر واخراج العالم العربي من المأزق الحالي .

•• على ماذا ترتكز قناعتكم بانه ما زال في مصر جماهير ناصرية ؟ وعلى اساس اي

تصور نظري تبنون قناعتكم بان الناصرية لديها البرنامج الذي يمكنه اخراج مصر والعالم العربي من المأزق الراهن ؟

ـ يكفي النظر إلى نتائج الانتخابات التي تجري في مصر لمعرفة ان نحو ٦٥ في المئة من اصوات الناخبين تظل غائبة عن هذه المعارك سواء بالنسبة للمعارضة أو للحزب الحاكم . ومن المؤكد ان هذه النسبة الغائبة لم تجد هويتها في التنظيمات السياسية القائمة . ولا شك ان الفكر الناصري هو الفكر الذي يمكنه ان يجذب كل هؤلاء ويلفهم حوله .

اما على صعيد البرنامج فإن للحزب لجنة تسمى « لجنة البرنامج » تقوم باعداده وهو لم يقر بعد . ولذلك فوجهة نظري الشخصية ان الاساس النظري للحزب ولتفكيره في القضايا المختلفة تستند إلى الميثاق والقضايا الفكرية التي قررها . مع النظر ، بالطبع ، في التطورات التي حدثت في السنوات الاخيرة ...

وذلك يعني اذا اردنا التوضيح ان فكر التنظيم ما زال هو الفكر الاشتراكي أو حتمية الحل الاشتراكي ، وضرورة سيطرة الدولة على وسائل الانتاج ، وذلك على الصعيد الاقتصادي ... اما على الصعيد العربي ، فما

زال اقتناع الحزب الناصري هو نفسه الذي تبلور في عهد عبد الناصر وفيما تبلور في الفكر القومي وحتمية الوحدة العربية أو السعي للوحدة العربية ، مع الاستفادة من تجارب الوحدة التي تمت في الماضي .

فما زالت قناعة الحزب الناصري هي ذاتها التي تحددت منذ البداية في كتاب عبد الناصر « فلسفة الثورة » أي ان هناك حلقات ثلاث ينبغي ان تدور فيها السياسة المصرية ، والتي يمكن ايجازها في الموقف من الاحلاف العسكرية ، ومقاومة الاستعمار ، والوقوف بجانب كل قوى التحرر . واعتبار مصر جزء اساسي من هذه القوى .

ومن هذا المنطلق فان موقف الحزب الناصري من القضية الفلسطينية ما زال متبلوراً في الصورة التي عبر عنها في الماضي . أي الايمان بالنضال المسلح ، وبالاهداف الاستراتيجية التي حددتها الامة العربية تجاه المشكلة الفلسطينية وحلها . والنظر لاسرائيل على انها كيان عنصري لا يمكن السماح له بالاستمرار أو اعطائه شريان للحياة بأي شكل من الاشكال . ولا يمكن لنا ان ننحرف عن هذا الاتجاه الاستراتيجي ولو بأي خطوة تكتيكية يمكن ان تؤثر على هذا الهدف .

●● لو حصرنا المسألة في القضايا الداخلية ، فان الافكار التي تقولون بها كانت تعبر عن فترة الستينات . ومنذ اوائل السبعينات حدثت تغيرات جوهرية في الاقتصاد المصري وتم احداث هذه التغيرات تحت دعوى ان مصر مرت بمرحلة « اشتراكية الفقر » التي يجب اخراجها منها ؛ فكان الانفتاح الاقتصادي . فهل ما زلتم تعتقدون بالفعل بان الاشتراكية التي اخذت هذه الصفة صالحة لاخراج مصر من ازمتها التي قادتها إليها سياسة الانفتاح ؟

ـ إذا كانت « اشتراكية الفقر »-بمعنى انها السياسة التي لم تسمح بان توجد فيها ظواهر الاثراء الفاحش والدخول الطفيلية واصحاب الملايين الذين كونوها في فترة الانفتاح ، فهي تسمية لا بأس بها ! .

فهذه الاشتراكية حاولت ان تقرب الفوارق بين الطبقات أو تذيبها . وسمحت لقطاعات العمال والفلاحين بان تعيش في المستوى الآمن الذي كانوا يُحسدون عليه ويُنظر اليهم على انهم لا يستحقون الوصول إلى هذا المدى . وهذه الاشتراكية هي ايضا التي سمحت لابن سائق سيارة عبد الناصر بالدخول إلى الجامعة بينما

دخلت ابنة عبد الناصر إلى الجامعة الامريكية لانها لم تحصل على المجموع الذي يؤهلها للالتحاق بالجامعة المصرية ، وتحققت المساواة في التعليم المجاني ..

وبشكل عام فان هذه الاشتراكية قد اتاحت لابناء العمال والفلاحين ان يصلوا إلى اعلى المواقع واعلى المستويات العلمية والفنية والسياسية . ورفعت من مستوى المعيشة ومستوى دخول الطبقات التي حرمت طويلا . وقامت بحماية العمال والفلاحين من كبار الملاك واصحاب رؤوس الاموال واصحاب المصانع ..

فمرحباً « باشتراكية الفقر » إذا كانت هي التي لم تسمح لاصحاب الدخول الطفيلية بان يثروا ويسرقوا ويرتشوا ويتاجروا في اقوات الناس . وان يهربوا الاموال وينهبوا البنوك من اجل استنزاف مصر وثروتها . ويغرقون مصر في الديون ثم يدعون الشعب لسدادها .

وإذا اخذنا مثلا عينيا فيكفينا مشكلة الاسكان . فالشعب يبحث عن « المسكن الاقتصادي » الذي كان ضمن مشروعات الحكومة في ظل ما يدعونه « اشتراكية الفقر » .. فالحكومة الاشتراكية انشأت الاف المساكن والعمارات للعمال وللفلاحين ولمحدودي الدخول مقابل ايجار شهري من جنيه ونصف إلى جنيهين حد اقصى . فإذا قارنا هذا الوضع مع الوضع الحالي الذي تم فيه ايقاف بناء هذا النوع من المساكن الشعبية والاتجاه إلى بناء المساكن الفاخرة لظهر الفرق . فايجار الشقة الفاخرة يتراوح ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ جنيه إلى جانب ما يدفع « كخلو رجل » يقدر بنحو ٧٠ الف جنيه .. أو اتجاه البناء من اجل توفير الاسكان المخصص للبيع للقادرين على الشراء . وبذلك اهمل القطاع الكبير من الشعب من محدودي الدخل . وينشغل المسؤولون بالبحث عن حلول مشكلة الاسكان ولا يجدون .. بينما كان الحل يطبق بالفعل في ظل النظام الناصري .

وإذا عممنا قليلا فإننا نجد الكل منشغل بالبحث عن نماذج بديلة من هنا وهناك لمواجهة ازمة المجتمع بينما تجربتنا موجودة وشأنها

شان اي عمل انساني فيها الصواب وفيها الخطا وانما لا يمكن ان نتجاهلها وندور نبحث عند الاخرين من اجل ان ننقل عنهم انبهاراً بهم في الوقت الذي كانت فيه ايجابيات تجربتنا بالفعل اكثر من سلبياتها .

.. في ايار / مايو ١٩٧١ كنتم احد القيادات السياسية العليا التي حكم عليها بالسجن .. الا يعتبر ذلك في حد ذاته نقطة نقد موجهة للناصرية كاسلوب حكم عزل نفسه عن الجماهير فلم تدافع عنه عندما تم تصفية قياداته ؟

ـ ان اكبر درس نأخذه مما حدث في أيار / مايو هو ان العمل السياسي لا بد ان يتم من خلال حزب مكون من كوادر حقيقية بعيدة عن كل العوامل الذاتية والشخصية .. فالعمل من خلال تنظيم جماهيري واسع دون ان تكون فيه الكوادر الملتزمة والمرتبطة والمتواجدة فكرياً ، يعرض التجربة كلها للمخاطر .. ولذلك لا بد للعمل السياسي ان يمارس من خلال حزب يتمتع بهذه السمات .

يضاف إلى ذلك ضرورة عدم ادخال أي عوامل عاطفية أو شخصية في العمل السياسي وانما تكون فيه الافكار القومية والسياسية واضحة ، وان يتم تغليب العقل على أي جوانب

عاطفية .. واركز على ذلك لان اختيار انور السادات كمرشح لرئاسة الجمهورية بعد وفاة عبد الناصر كان اختياراً عاطفياً اكثر منه اختياراً عقلياً . وكان تأثرنا ناتجا من ان عبد الناصر جعله نائبا لرئيس الجمهورية ولذلك اقتدينا به ورشحنا السادات .

وحينما وقع الخلاف مع السادات جاء في فترة تميزت بالحساسيات ، على الاقل من طرفنا ، لانه كانت تحكمنا فكرة المعركة وبدئها وضرورة عدم التأثير عليها من جراء خلافاتنا . ومن ثم كنا نحاول اخفاء معالم الخلاف وحصرها في اضيق نطاق فلم ننزل بها في الوقت المناسب لكل الناس فخفي عليهم معالم الخلاف واطرافه وحقيقته .

وهذه واحدة من الاخطاء . ولا اعتبرها من اخطاء التجربة وانما من اخطائنا نحن ، لاننا لم نكن متفقين فيما بيننا فيما يتعلق بموقف السادات من المعركة ، لان البعض كان يتصور ان السادات مضطر ان يدخل المعركة حتى ولو لم يكن يريد ، ومن ثم لو ارجأنا مؤقتا مشاكلنا فسوف نبدأ المعركة وبعدها يمكن ان تسير الامور بشكل افضل .. بينما

البعض الآخر كان يرى ان السادات لن يبدأ المعركة اطلاقا ، وان معركته الحقيقية معنا

نحن وتصفيتنا .

وهذه نقطة لم تحسم بيننا إلى آخر لحظة ونجح السادات في ان يلعب على هذه الخلافات . وظلت هذه الخلافات كامنة ولم تنزل إلى مستوى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي إلا في شهر نيسان / ابريل ١٩٧١ . أي ان هذه الخلافات ظلت حتى هذه اللحظة محصورة في قمة التنظيم أي في اللجنة التنفيذية العليا ولم تصل إلى المستويات الاخرى ، ولذلك فلم تفهم الحقائق الموضوعية للخلافات .

لقد دارت هذه الخلافات حول اتفاقية الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا وليبيا .. ولكن لم يكن هذا إلا ظاهر الخلاف اما حقيقته فكانت متعلقة بمدى ارتباط السادات بالفكر الناصري ومواقف الناصرية من القضايا السياسية المختلفة على الصعيدين الداخلي والخارجي .

فالسادات كان قد بدأ باحاطة نفسه بمجموعات من القوى غير المؤمنة بالفكر الناصري وكون من هذه المجموعات بطانة تعزله عن كل الاطارات السياسية الاخرى . ومن ناحية اخرى بدأ السادات يبشر بمواقف وافكار تتناقض مع الفكر الاشتراكي واظهر انحيازه إلى الطبقات التي تضررت من الثورة والقرارات الاشتراكية مثل كبار الملاك وكبار

والقرارات الاستراتيجية مثل كبار الملاك وكبار الرأسماليين . علاوة على ذلك فقد بدأ يتجه للاتصال بالولايات المتحدة وبالاسرائيليين في محاولة للوصول الى تسوية سلمية منذ عام ١٩٧١ وبشكل لم نكن مقتنعين به وتمثل ذلك اساسا في مبادرة ٤ شباط / فبراير التي ترجمتها حرب تشرين الاول / اكتوبر . فلقد قال في هذه المبادرة اننا نريد ان ينسحب الجيش الاسرائيلي لمسافة عشرة كيلومترات من الضفة الشرقية لقناة السويس ونفتح القناة للملاحة وندخل في مباحثات . وهذا ما تم تقريبا بعد حرب اكتوبر .

وعزل السادات اللجنة التنفيذية العليا عن الاتصالات التي قام بها وابتدأ يتخذ مسالك ومسارات بعيداً عنها وخالف بذلك الاتفاقات المكتوبة بيننا على اسلوب العمل والتي حددتها بيانات اللجنة المركزية وبيانات اللجنة التنفيذية لترشيحه بعد وفاة عبد الناصر وكذلك خالف ما قاله في خطاب ترشيحه والتزم به امام مجلس الامة كخط سيره كرئيس جمهورية ..

لقد خالف السادات كل هذه الاساليب المحددة للعمل وابتدأ يخط لنفسه طريقا آخر ويسلك مساراً سريا مع المخابرات الامريكية وهنري كيسنجر عندما كان مسؤولا عن الامن القومي .. حتى وصل إلى النتائج التي وصل إليها ■

اليها ...

حوار وتصوير
مصطفى نور الدين عطية

أي رسالة أو تعليق؟